



الباب الثاني:

التحديات السياسية الراهنة على الساحة الدولية

الفصل الأول: النظام الدولي الجديد مفهومه وسماته.

الفصل الثاني: القوة في الفكر الاستراتيجي.

الفصل الثالث: القوة الأمريكية ومستقبل العلاقات مع العالم الإسلامي.

الفصل الرابع: التغيرات الاستراتيجية المتوقعة للمنطقة العربية بعد الحرب على العراق.

الفصل الخامس: استراتيجيات القوى الدولية تجاه المنطقة العربية.

الفصل السادس: روسيا والعالم الإسلامي بين خبرات الماضي وآفاق المستقبل.

الفصل السابع: تحديات الاتحاد الأوروبي في النظام العالمي.

الفصل الثامن: مصطلح الشرق الأوسط من التعبير الجغرافي إلى البديل.

الفصل التاسع: الجغرافيا السياسية لإقليم البلقان.

الفصل العاشر: المشكلات الأساسية التي يعاني منها المسلمون في البلقان.

الفصل الحادي عشر: التوازن الإقليمي في شرق إفريقيا.

الفصل الثاني عشر: الصراع الاستراتيجي في جنوب آسيا.

الفصل الثالث عشر: دراسة جغرافية استراتيجية لمناطق وسط آسيا والقوقاز قزوين.



الفصل الأول

النظام الدولي الجديد

مفهومه وسماته

ومستقبل العالمين العربي والإسلامي

الدكتور

محمد المجذوب

رئيس الجمعية العربية للعلوم السياسية،
رئيس الجامعة اللبنانية سابقاً



النظام الدولي الجديد مفهومه وسماته ومستقبل العالمين العربي والإسلامي

الدكتور / محمد المجذوب (*)

شهد العالم منذ التسعينيات من القرن المنصرم تحولات وتغيرات جذرية في العلاقات الدولية (ولا سيما بين الشرق والغرب)، كانت في الدرجة الأولى ثمرة السياسة التي أعلنت في عهد الرئيس السوفييتي السابق (جورباتشوف)، وقد أدت هذه السياسة إلى ظهور مفاجآت؛ أهمها:

- ١ - انهيار المعسكر الاشتراكي سياسياً واستراتيجياً واقتصادياً.
 - ٢ - زعزعة أركان البنى الدستورية والسياسية والاقتصادية في الاتحاد السوفييتي، وتحول ولاياته إلى جمهوريات مستقلة، وهذا ما حدث كذلك في يوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا.
 - ٣ - تعرض العقيدة والأسس الشيوعية لضربة قاسية.
 - ٤ - تنكر شعوب أوروبا الشرقية للأحزاب الشيوعية الحاكمة، وتحولها إلى نظام ليبرالي وبرلماني واقتصادي حر على الطريقة الغربية.
 - ٥ - زوال حلف وارسو (الخصم اللدود لحلف الأطلسي)، وانتهاء المرحلة التي اتسمت بالحرب الباردة، وتوازن الرعب والتهديد النووي.
 - ٦ - إعادة توحيد ألمانيا (التي قُسمت قسراً بعد الحرب العالمية الثانية)، وعقد الآمال عليها وعلى فرنسا لقيادة الكتلة الأوروبية (المتجسدة اليوم بالاتحاد الأوروبي).
 - ٧ - زوال القطبية الثنائية التي سادت خلال قرون أربعة، وبروز الولايات المتحدة (كسيد أوحده)، لا شريك له ولا منازع في قيادة العالم بأسره، والتحكم في مقدراته.
 - ٨ - ظهور نظام دولي جديد لم تظهر معالمه، وتُعرف مضامينه، وتُلمس آثاره إلا بعد حادثة ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، والعدوان الهمجي على أفغانستان.
- وهذا النظام العالمي الجديد هو الذي يعيننا هنا؛ لأن مستقبل العالمين العربي والإسلامي في السنوات القليلة القادمة سيتوقف على كيفية تطبيق هذا النظام، وعلى السياسة الدولية التي سينتهجها، وعلى نمط

(*) رئيس الجمعية العربية للعلوم السياسية، رئيس الجامعة اللبنانية سابقاً.



العلاقات الدولية التي سيقومها ، وعلى مدى الديمقراطية والحرية والتنمية التي سيوفرها لشعوب العالم الثالث .
فما هو مفهوم النظام الدولي؟ وما هي معالم النظام الدولي السابق؟ وما هي سمات النظام الدولي الجديد؟
وما هو مستقبل أقطارنا العربية والإسلامية في ظل هذا النظام؟



المبحث الأول مفهوم النظام الدولي

أصبحت فكرة (النظام) من المفهومات الأساسية التي يقوم عليها علم العلاقات الدولية، والتي تهدف إلى اكتشاف أنماط من التفاعل في السياسة الدولية، واهتمت فئة من علماء السياسة بهذه المسألة فوضعت للنظم نظرية وظفتها في دراسة السياسة؛ معتبرة أن الحياة السياسية في مجتمع ما ليست سوى كتلة من التفاعلات تحيط بها نظم اجتماعية تؤثر فيها بشكل مستمر.

والحديث عن النظام الدولي ليس بالأمر المستحدث في مجال العلاقات الدولية، فخلال الحرب البيلوبونيسية pélonnèse التي اندلعت بين أثينا وإسبرطة، في الأعوام ٤٣١ - ٤٠٤ قبل الميلاد، وانتهت بهزيمة الأولى - عمد بعض المؤرخين الإغريق، ومنهم ثوسيديد Thucydide (٤٦٠ - ٤٠٠ ق. م)، إلى استخدام مصطلح (نظام القطبية الثنائية).

وعندما نقفز إلى القرن السابع عشر نجد أن معاهدات «وستفاليا» لعام ١٦٤٨ م (وهي معاهدات عُقدت بين الدول الأوروبية بعد ثلاثين سنة من الحروب الدينية) قد أسفرت عن ظهور نظام دولي أوروبي يقوم على أسس جديدة؛ أهمها:

- انهيار الإقطاع.

- حرية المعتقد الديني.

- تبادل التمثيل الدبلوماسي الدائم.

وإذا ما وصلنا إلى القرن التاسع عشر وجدنا مصطلح (نظام توازن القوى) شائعاً في الأدبيات السياسية بعد مؤتمر فيينا وهزيمة نابليون الأخيرة.

وحاول بعض المفكرين وضع تعريف جامع مانع للنظام الدولي، فقال: «إنه النظام الذي يُمثّل أنماط العلاقات والتفاعلات بين الفواعل السياسية الموجودة خلال فترة زمنية محددة».

والمأخذ على هذا التعريف أنه يقوم على ادعاءين أساسيين:

الأول: يرى أن الدولة هي الفاعل الأساسي، وهي وحدة التحليل الرئيسة، وأن باقي الفواعل الدولية الأخرى ليست سوى امتدادات لإرادات الدول.

والادعاء الثاني: يرى أن سيادة نمط معين للنظام الدولي سوف يؤدي إلى تماثل معين في السياسات الخارجية



للدول المكونة لهذا النظام .

والواقع أن النظام الدولي ليس مجرد تفاعلات أو علاقات بين دول معينة في فترة معينة، وإنما هو أعمق من ذلك وأشد تعقيداً، إنه مجموعة متداخلة من القواعد التي تحكم التعامل الدولي، وتتأثر بالعديد من الفواعل السياسية وغير السياسية القائمة في حقبة معينة^(١).

وفواعل النظام الدولي، أو وحداته المؤثرة، هي باختصار أربعة :

١ - الدول : وعددها يتجاوز اليوم المائة والتسعين، ومنها الكبير والصغير، والقوي والضعيف، والحيادي والمنحاز، والمستقل والتابع . وأثر كل دولة في تفاعلات النظام الدولي يختلف باختلاف القوة السياسية والعسكرية والاقتصادية (وأحياناً الدينية) لهذه الدولة .

٢ - المنظمات الدولية والإقليمية : الحكومية وغير الحكومية، وتأتي الأمم المتحدة - وما يتفرع عنها من وكالات وهيئات - في طليعة هذه المنظمات .

٣ - الشركات متعددة الجنسيات : وهي مؤسسات قوية وفاعلة تؤثر في القرارات السياسية، وتعمل على تحويل العالم إلى سوق واحدة، وميزانية بعضها تتخطى ميزانية أكبر دولة نفطية .

٤ - حركات الاستقلال والتحرر : وقد كان لها تأثير بالغ في بنية النظام الدولي الذي نشأ بعد الحرب العالمية الثانية، وخيل إلى بعض الناس أن تأثيرها قد تضاعف مع انهيار المعسكر الاشتراكي، غير أن أحداث البلطيق والخليج جاءت تثبت العكس .

ودراسة هذه الفواعل توحى بالملاحظات الآتية :

أ - أن أهميتها تزداد أو تتضاعف أو تتفاوت بين فترة وأخرى، وأن تأثيرها يختلف باختلاف العوامل والظروف .

ب - أنها ليست مرتبطة أو متماسكة أو متوازنة، فقد يتفوق واحد منها على ما عداه، وقد يتعاون اثنان منها على تغييب تأثيرات الفواعل الأخرى .

ج - أن الغرب هو الذي يطرح دائماً فكرة النظام الدولي، ويطلق على المتغيرات الدولية التسميات التي تروق له وتناسب مصالحه، وهو يفعل ذلك ليوحى للعالم - وخصوصاً للشعوب المستضعفة - بأن القوى الكبرى هي وحدها المؤهلة لتغيير العالم، وبأن هناك منطقاً أو تسلسلاً تاريخياً يتحكم في مصير البشرية بشكل متسق ومنتظم، وبأن الغرب هو مركز الكون وأداة التغيير وسيد المقادير، وبأن بقية دول العالم ليست سوى ذيل،

(١) راجع كتاب الدكتور عبد المنعم سعيد، العرب ومستقبل النظام العالمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٧م، ص ١٥-١٩ .



أو هامش ، أو فائض مسخّر لخدمة سادة الغرب .

د - أن أقطاب النظام الدولي يحرصون على إضفاء الغموض والالتباس على مفهوم هذا النظام؛ ليتسنى لهم في الوقت المناسب إعطاء التفسير أو التسويغ الملائم لمطامعهم، ولهذا يضطر الباحثون إلى التقاط بعض التصريحات الصادرة عن المسؤولين لتحليلها، ومحاولة استكشاف المعالم والعناصر المهمة في النظام، فكيف يمكننا - بالاعتماد على هذه الطريقة - تحديد معالم النظام الدولي السابق والجديد؟



المبحث الثاني معالم النظام الدولي السابق

إن التعرف إلى النظام الدولي الجديد الذي بشرت به حكومة واشنطن وتروّج له؛ يستدعي إلقاء نظرة سريعة على معالم النظام الدولي السابق؛ أي النظام الذي ظهر بعد الحرب العالمية الثانية، وعمر حتى نهاية الثمانينيات، وأهم سمات النظام السابق:

- ١ - أنه قام في أعقاب حرب كونية امتدت آثارها إلى كل بقعة في الأرض، واستعملت فيها أسلحة إفتائية لا عهد للبشرية بمثها.
- ٢ - أنه أنهى العصر الأوروبي الذي ساد واتسم بالتوسع الاستعماري، والتمييز العنصري، والقهر البشري، وانتهاك حريات الشعوب بلا حساب.
- ٣ - أنه أسهم في تحديد مصير العالم، وتوزيع النفوذ، وتقاسم التركات والمناطق، في مؤتمر يالطا (فبراير ١٩٤٥م)؛ بطريقة فظة يندئ لها خجلاً جين البابا (الإسكندر السادس) الذي أصدر في عام ١٤٩٣م قراراً قضى بتقسيم الأقاليم في القارة الأمريكية المكتشفة بين كل من إسبانيا والبرتغال.
- ٤ - أنه أوجد قطبين اثنين في العالم (الولايات المتحدة، والاتحاد السوفيتي) يتحكمان في مصير شعوب الكون من أقصاه إلى أقصاه، وذلك لأول مرة في تاريخ البشرية، لقد عرف العالم في الماضي البعيد أو القريب نظام القطبية الثنائية، ولكن هذا النظام كان بسبب بُعد المسافات، وصعوبة الاتصالات، وبدائية التقنية (التكنولوجيا)؛ يقتصر على منطقة معينة من مناطق الأرض.
- ٥ - أنه تسبب في إهدار أموال دول العالم، وأغرقها في أزمات اقتصادية واجتماعية عندما أوهمها أن السباق على التسلّح من شيم الحضارة العصرية، وقد أسفر ذلك عن تكديس الأسلحة التدميرية، وقيام الأحلاف العسكرية، وانتشار حالة توازن الرعب.
- ٦ - أنه حرض المعسكرين المتصارعين - بعد أن غدت الحرب الساخنة مستحيلة بسبب تطور الأسلحة الحديثة - على إثارة حروب بالواسطة في أقاليم العالم الثالث؛ من أجل الاستيلاء على مواد الأولية ومدخراته المالية، وتحويله إلى سوق لاستهلاك منتجاته واقتناء أسلحته.
- ٧ - أنه نقل أسلوب الحرب الباردة - القائم على النكاية والخديعة والنفاق والتخريب - إلى أروقة الأمم المتحدة التي أُسست لتحقيق الأمن والسلام، وصون الحقوق والحريات، وتوفير سبل التنمية والتعاون لكل الشعوب، وقد أدّى ذلك إلى شل أعمالها وتحويلها إلى أداة للإهاء الصغار وابتزازهم.



٨ - أنه كرّس التفاوت بين الشمال الغني والجنوب الفقير، صحيح أن بعض الأغنياء في ظل النظام الدولي قدّم معونات للدول المعوزة، إلا أن هذه المعونات لم تتمكن من تحسين وضعها الاقتصادي والاجتماعي، أو رفع مستوياتها المعيشية، أو زيادة دخلها القومي، أو التخفيف من ثقل ديونها المتراكمة، أو السماح لها ببناء اقتصاد مستقل ومتطور.

فالنظام الدولي السابق تشكّل إذن على أساس وجود قطبين يتزعمان معسكرين، وكان كل قطب يتميز بامتلاكه:

أ - منظومة خاصة من القيم، والمبادئ، والأيدولوجيا المتعلقة بفلسفة الإنسان والمجتمع والكون والمصير.
ب - سلطة مركزية قوية تتمتع بحق اتخاذ القرار السياسي، وحق إنزال العقوبة بالمخالفين أو الخارجين على إرادته.

ج - قوة عسكرية ونووية جبارة تُرهب العدو والحليف.

د - طاقة إنتاجية ضخمة تعتمد على التقدم العلمي.

هـ - مطامع لا حدود لها تهدف إلى بسط السيطرة الفردية على العالم أجمع.

وجسّدت الفترة الزمنية الممتدة من عام ١٩٤٥م وحتى نهاية الثمانينيات تاريخ تطوّر العلاقات الدولية بين القطبين وأتباعهما، ومرّت هذه العلاقات بثلاث مراحل أساسية:

١ - مرحلة الحرب الباردة في الخمسينيات تقريباً: وهي حرب اندلعت بين حلفاء الأمم الذين خاضوا حرباً ساخنة ضد دول المحور، وتميّزت هذه المرحلة بالعداء الصريح، والتوتر الشديد بين دول المعسكرين، وشهدت المرحلة قيام أكبر حليفين عسكريين:

* حلف الأطلسي في عام ١٩٤٩م.

* حلف وارسو في عام ١٩٥٥م.

وفي عام ١٩٥٦م توأطأت واشنطن سرّاً مع بريطانيا وفرنسا وإسرائيل لشن أكبر عدوان (العدوان الثلاثي) على دولة من العالم الثالث (مصر)، والتي سعت إلى كسر احتكار السلاح الغربي (بشراء السلاح من المعسكر الاشتراكي)، وتحطيم قيود التبعية للغرب (بإنشاء كتلة عدم الانحياز في مؤتمر باندونج في عام ١٩٥٥م).

٢ - مرحلة التعايش السلمي في التسعينيات تقريباً: وكان خطاب الزعيم السوفييتي الراحل (خروتشيف) في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفييتي؛ هو الأساس الموضوعي الذي قام عليه هذا التعايش، ويمكن تلخيص مبادئ هذا التعايش بالنقاط الآتية:



أ- التخلي عن الحرب كوسيلة لتسوية المنازعات الدولية .

ب- حل المنازعات بالمفاوضات .

ج- إقامة العلاقات الدوليّة على أساس المساواة في الحقوق ، والتفاهم ، والثقة المتبادلة ، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية ، والاعتراف بحق كل شعب في أن يُسويّ بنفسه جميع المشكلات المتعلقة بوطنه .

د - احترام السيادة والوحدة الإقليمية لجميع الدول .

هـ - تنمية التعاون الاقتصادي والثقافي على أساس المساواة الكاملة .

وفي عام ١٩٦٢م حدثت أزمة الصواريخ (في كوبا) وهدّدت العالم بشرّ مستطير ، ولكن حلّها بالتفاهم بين القطبين عزّز سياسة التعايش السلمي ، وشجّع قمة عدم الانحياز التي عُقدت في القاهرة في عام ١٩٦٤م على إقرار المبادئ الثمانية للتعايش السلمي ، كما شجع الأمم المتحدة في عام ١٩٦٥م على إقرار تلك المبادئ .

٣- مرحلة الانفراج أو الوفاق الدولي في السبعينيات والثمانينيات تقريباً : وهذه المرحلة بدأت مع تبلور تيار التفاهم والتعاون بين الجبارين ؛ على إثر انتهاء الحرب الفيتنامية ونجاح القمة الثنائية في عام ١٩٧٢م بين الرئيس الأمريكي نيكسون والزعيم السوفييتي بريجنيف ، ومن العوامل التي ساعدت على ولادة هذه المرحلة :

أ- وجود الداهية اليهودي المتصهين (هنري كيسنجر) على رأس وزارة الخارجية الأمريكية ، وسعيه لتسخير المقدرات الأمريكية والعالمية من أجل خدمة إسرائيل ، وتوظيف الدهاء أو النفاق الأمريكي لإحداث شروخ وانقسامات في كل مجتمعات العالم .

ب- ابتعاد الصين عن المعسكر الاشتراكي ، وتوتر العلاقات بينها وبين موسكو .

ج- تأجج النزعة الاستقلالية لدى دول أوروبا الشرقية .

د- حدوث أزمات حادة - سياسية واقتصادية - داخل المعسكر الغربي .

هـ- تعرض نظام القطبية الثنائية للاهتزاز ، بسبب بروز الصين على المسرح الدولي بوصفها قوة استراتيجية كامنة ، وبروز ألمانيا واليابان بوصفها قوة اقتصادية فاعلة ، وبروز أوروبا الغربية بوصفها قوة سياسية واقتصادية متصاعدة .

ونشير إلى أن هذه المراحل الثلاث ليست مستقلة أو منفصلة ، بل هي متداخلة ومتقاطعة أحياناً ، فالحروب والمعارك المحلية - مثلاً - لم تتوقف في مختلف المراحل ، ثم إنه من الصعب تحديد النطاق الزمني لكل مرحلة بدقة ، ولهذا أثرنا استعمال تعبير (تقريباً) بعد ذكر عقود المراحل .

وإذا كانت المرحلة الأخيرة في تاريخ النظام الدولي السابق تتسم بروح الوفاق والتعاون ؛ فلماذا الانتقال

إلى نظام جديد؟ وإذا كان النظام الجديد قد أصبح واقعاً مفروضاً؛ فما هي سماته البارزة؟



المبحث الثالث معالم النظام الدولي الجديد

ترتبط ولادة هذا النظام باعتبارات ومسوغات خاصة؛ تتعلق بأغراض وأهداف تصبو بعض القوى الدولية إلى تحقيقها، معتمدة أن بلوغها يساعدها على تجاوز الأخطاء، وتحسين الأوضاع، والاستعداد لطور جديد من القدرة والاقتدار.

فالاتحاد السوفييتي رضي بالتخلي عن دوره في نظام القطبية الثنائية؛ ومن ثم بالتخلي عن اهتمامه بالسياسة الدولية؛ لأنه كان في أمس الحاجة إلى تكريس كل الجهود لإصلاح أوضاعه الداخلية التي تردت وهددت بالانفجار، وهو يظن أن النظام الجديد يوفر له فرصة لالتقاط الأنفاس، وإنجاز الإصلاحات، وإعادة بناء الهياكل والمدايمك، والعودة بعد ذلك إلى المسرح الدولي بشخصية وتطلعات جديدة.

وأقول نجم المعسكر الاشتراكي، أو انشغاله بقضاياه الداخلية، وفر للولايات المتحدة فرصة ذهبية للتفرد بمرکز الدولة الأعظم ذات المسؤوليات العالمية، ولتحقيق أحلام نرجسية وتوسعية وتسلفية، ولهذا سارعت إلى احتلال بنما وافتعال أزمة الخليج، وهي ترمي من وراء ذلك إلى إقناع الحليف والخصم بجبروتها العسكري والسيطرة على منابع النفط، وحماية نفسها من شر المنافسة الاقتصادية مع القوى الدولية الواعدة والمتحفزة (اليابان، وألمانيا، وأوروبا الغربية أو الموحدة).

ورأت هذه القوى - التي بدأت تشكل محاور دولة؛ في انكفاء السوفييت وسيطرة الأمريكيين - مناسبة لتحقيق ثلاثة أحلام:

- ملء الفراغ الذي خلفه الاتحاد السوفييتي في العالم اقتصادياً واستراتيجياً.

- استثمار الرساميل في دول المعسكر الاشتراكي بعد إغراق أسواقها بالسلع المستوردة.

- وتشجيع الولايات المتحدة على الإكثار من استعمال العصا الغليظة بغرض إنهاكها، والإساءة إلى مكانتها، وتأليب دول العالم عليها، وإثارة الانقسامات في بلادها، ودفعها في النهاية إلى التسليم بتقاسم الزعامة والقيادة مع الأقطاب الأخرى.

أما دول العالم الثالث والوطن العربي؛ فظنت أن النظام الدولي الجديد سيوفر لها - أكثر من سابقه - أسباب الرخاء والتطور، وسيساعدها على اللحاق بالركب الحضاري، بعد تضيق شقة الثروة بينها وبين الدول الغنية. وما درت أن المجابهة التي كانت قائمة بين الغرب والشرق قد تحوّلت بعد غياب الاتحاد السوفييتي - بوصفه عامل

(١) نقلاً عن مجلة (العالم)، في ١٧/١١/١٩٩٠م، ص ٣٧.



توازن في العالم - إلى عملية اقتحام مكشوفة تقودها واشنطن باسم دول الشمال ضد دول الجنوب، وحرب الخليج مثل صارخ، والمؤسف أن الاتحاد الروسي مضطر بسبب أوضاعه الاقتصادية، وحاجته إلى مساعدات الغرب إلى السير في ركاب الأغنياء المستكبرين .

ولو أردنا تحديد الفترة الزمنية التي تبلورت فيها معالم النظام الدولي الجديد؛ لقلنا إن أزمة الخليج كانت البداية، ففي هذه الأزمة أعلنت واشنطن عزمها على تسلم القيادة السياسية والعسكرية في العالم، ووضع اليد على أهم ثروات الدنيا، وأكدت الغالبية الساحقة من الدول الكبرى والصغرى بانصياعها وإذعانها موافقتها التامة على هذا الواقع الدولي المستجد، وبذلك تتضح السمات الرئيسة للنظام الجديد، والتي يمكن تلخيصها بالنقاط الآتية :

- ١ - الانتقال نهائياً - ولو لفترة غير طويلة - إلى نظام القطبية الفردية بزعامة واشنطن .
- ٢ - انتقال الصراع العالمي، بعد انهيار التوازن الدولي، وانضمام المعسكر الشرقي إلى المعسكر الغربي، من صراع سياسي وعسكري إلى صراع اقتصادي، ومن صراع بين الشرق والغرب إلى صراع بين الشمال الغني والجنوب الفقير .
- ٣ - موافقة العالم الغربي الذي يتشدق بالديمقراطية والحرية على تخويل الولايات المتحدة - متى شاءت وكيفما شاءت - استخدام القوة العسكرية ضد كل دولة في العالم الثالث تنشُد الحرية، أو تنادي بحق تقرير المصير، أو تسعى إلى امتلاك القدرات الذاتية التي تسمح لها بالتغلب على عوامل التخلف .
- ٤ - استعداد العالم الغربي، ومع بعض الكيانات السياسية المحرومة من نعمة العقل والوجدان، لمساعدة واشنطن بالسلاح والرجال والمؤامرات في أعمالها العدوانية ضد الشعوب، وفي قمعها الوحشي لحركات التحرر، وفي نهبها المبرمج لثروات المستضعفين، وفي إفنائها المستمر لأقوام وشعوب استخلفها الله في الأرض .
- ٥ - تخويل الأمم المتحدة، والمنظمات الإقليمية، والهيئات الدولية، والوكالات المتخصصة؛ إلى آلات طيعة تعمل لخدمة مصالح السيد الأعلى والمتحلّقين حول فئات طاولته .
- ٦ - تقزيم القيم الإنسانية، وتحجيم المبادئ الدولية، وتشويه الأخلاق الفاضلة، وتلميع صور المارقين والماكرين والمنافقين، وقلب معايير الوطنية، واستعمال ميزانين ومكيالين في معالجة القضية الواحدة .



المبحث الرابع الأعمال الإجرامية للقرب الأواحد في النظام الدؤلي الجديد

لا بد لنا ونحن نستعرض أهم سمات النظام الجديد من طرح بعض الأسئلة :

السؤال الأول : هل الإجماع الدؤلي الذي ظهر لدى معالجة أزمة الخليج في أروقة الأمم المتحدة انطوى على أخلاق رفيعة في حقل العلاقات الدولية ؛ يبشرنا بانبثاق عهد جديد من الخير والفضيلة ؟

والسؤال الثاني : هل الموافقة، العلنية والضمنية، على ما تقوم به واشنطن من مجازر، وانتهاكات ومخالفات لأبسط قواعد القوانين والاتفاقات الدولية ؛ تعني أن تغييراً جذرياً طرأ على مبادئ القانون الدؤلي، وأنه يتوجب على أساتذة هذا القانون إعادة النظر في كل ما تعلموا وكتبوا؟

والسؤال الثالث : هل النظام الجديد بزعامة أمريكية (ملهمة) يساعد دول العالم الثالث على حل مشكلاتها واحترام سيادتها، وتأمين العيش الكريم لأبنائها؟

والسؤال الرابع : هل النظام الدؤلي الجديد يوحى للعرب ببصيص أمل في إمكان تحقيق وحدتهم والحفاظ على تراثهم وثروتهم، وصون حريتهم، وتأمين أمنهم القومي والاقتصادي، وإعادة فلسطين وكل أرض عربية مغتصبة إليهم؟

والسؤال الخامس : هل الولايات المتحدة، بما سمعنا عنها ولمسنا منها، تستحق التربع فوق عرش العالم، وتسلم قيادة الركب البشري؟

ويكفيينا الإجابة عن السؤال الأخير، وتقديم صورة واضحة عن هذا الطاغوت الجديد الذي أطل على العالم منذ قرنين بثوب الأحرار الأبرار الأطهار، وانقلب بسرعة البرق إلى أكبر مجرم في تاريخ البشرية .

ونحن لا نلقي الكلام جزافاً؛ فلو اطلعنا على التاريخ البشري المكتوب لاستنتجنا أن الولايات المتحدة كانت - وما زالت - الدولة الأكثر إجراماً ووحشية وهمجية، إن المؤرخين يتحدثون عن شخصيات همجية حكمت دولاً وأقامت أنظمة، مثل نيرون، وجنكيز خان، وهولاكو، وهتلر، وستالين، وبوكاسا، وشاه إيران . . . ولكن همجية هؤلاء الطغاة تتضاءل أمام همجية الحكام الأمريكيين؛ لأن همجية القدامى بقيت محدودة في الزمان والمكان والتأثير؛ على عكس همجية الأمريكيين التي لا تعرف الحدود والقيود، ولأن القدامى لم يدعوا، كما يفعل الأمريكيون، بأنهم حماة حقوق الإنسان، والقانون الدؤلي، والشرعية الدولية .



- ولو كانت هناك محكمة دولية مستقلة وعادلة لقدّم إليها الأحرار من رجال القانون ملف اتهام حافل بالجرائم المخزية التي ارتكبتها الإدارة الأمريكية؛ وأشهرها:
- ١ - جريمة الإبادة الجماعية التي اقترفتها ضد الهنود الحمر؛ أي ضد السكان الأصليين للقارة الأمريكية، فقد تناقص عددهم منذ القرن السادس عشر من ستين مليوناً إلى أقل من مليون.
 - ٢ - جريمة استرقاق السود بعد اصطيادهم بالشباك في إفريقيا، وبيعهم في أسواق النخاسة في أمريكا، وتحويلهم إلى سلع متحركة.
 - ٣ - جريمة الاستيلاء على أملاك الآخرين، وما استولت عليه من أراضي جيرانها (المكسيك مثلاً) دليل على ذلك.
 - ٤ - جريمة التخريب والنهب والاستغلال والاعتقال في كل أقطار الدنيا، وخاصة في دول أمريكا اللاتينية التي حولتها إلى مزارع وأسواق لشركاتها الاحتكارية، وأغرقت بالدم كل دولة حاولت التمرد عليها، ولم تتورّع عن احتلال بعضها (جرينادا، وبنما)، وإلقاء القبض على رؤسائها، أو اغتيالهم (اللاندي في تشيلي، وتورخوس في بنما).
 - ٥ - جريمة التدخل في شؤون الآخرين للقضاء على الأنظمة الشرعية، وتدمير القدرة العسكرية والاقتصادية؛ بدعوى حماية (العالم الحر) من الخطر الشيوعي أو الإرهاب الدولي أو الأنظمة الفاسدة، وبالاستناد إلى هذه الحجة قضت على الثورة الوطنية في اليونان، وخاضت حرب إغناء ضد الكوريين والفيتناميين، وأثارت الفتن في الكونغو وكوبا ونيكاراجوا، وألقت حمم أسطولها على لبنان وليبيا، وساندت إسرائيل في كل جرائمها، ودمّرت معالم الحياة في أفغانستان.
 - ٦ - جريمة حرق كل القوانين والقرارات الدولية، واستعمال حق النقض عند إجماع الدول على إدانة أي عمل إجرامي، ورفض الإذعان لأحكام محكمة العدل الدولية، والاعتراض على فرض عقوبات على حكومة الأقلية العنصرية البيضاء في جنوب إفريقيا، والإصرار على منع تنفيذ قرارات الأمم المتحدة التي حظيت بموافقة أمريكية، مثل قرار التقسيم وإعادة النازحين ومئات القرارات المماثلة الأخرى، وتحويل الأمم المتحدة إلى جهاز أمريكي مستعد لإصدار ١٢ قراراً متلاحقاً في مدة قصيرة وفي موضوع واحد (أزمة الخليج).
 - ٧ - جريمة إرهاب الدولة: فهي أول دولة في العالم مارست رسمياً الإرهاب عندما بدأت في الخمسينيات بختطف الطائرات الكويتية، وعندما أغارت على ليبيا، وعندما اعتقلت رئيس دولة (نورييجا في بنما) كان شريكاً لرئيس دولتها في تهريب المخدرات، وهي أول دولة قرّرت حماية الإرهاب الذي تمارسه إسرائيل ضد العرب والعالم.
 - ٨ - جريمة استعمال السلاح النووي الذي أباد الآلاف في هيروشيما وناجازاكي.



٩ - جريمة استعمال السلاح الكيماوي والجراثومي، وقنابل النابالم المحرقة، والقنابل العنقودية والفراغية في كل حروبها وعلى أوسع نطاق.

١٠ - جريمة القضاء على حرية الرأي والتعبير والتنقل في الأرض الأمريكية؛ تارة بدعوى الخوف من الشيوعية (هستريا المكارثية في بداية الخمسينيات من القرن المنصرم)، وطوراً بدعوى الدفاع عن الشرعية الدوليّة لتدخل في الشؤون الداخلية لدول العالم، واليوم بدعوى مكافحة الإرهاب الدولي لإذلال الشعوب العربية والإسلامية، والاستيلاء على ثرواتها.

تلك هي أهم جرائم الإدارة الأمريكية، والتي تسعى جاهدة إلى السيطرة على العالم من أقصاه إلى أقصاه، وإنشاء أول إمبراطورية كونية في التاريخ، وقد تنبه وزير العدل الأمريكي السابق (رامزي كلارك) إلى الفظائع التي ارتكبت في حرب الخليج، فدأّن دولته باقتراح جرائم حرب ضد الشعب العراقي، ووصف عمليات القصف العشوائي بأنها (انتهاكات لمعاهدات لاهاي، وجنيف، ونورمبرج، والقانون الدولي برمتها)^(١).

وخيل لبعض الباحثين أن الإدارة الأمريكية اتعظت وتعلمت وغيرت مسلكها بعد مرور ١١ سنة على تلك الحرب، ولكنهم أيقنوا أن الأيام زادت شراسة وقسوة، فإذا برئيسها (بوش الابن) يقسم العالم إلى محور الشر ومحور الخير، ويُصب نفسه زعيماً للمحور الثاني، ويتوعد الرافضين لمخططاته بحساب عسير؛ وإذا بوزير خارجيته (كولن باول) الذي يوصف بأنه زعيم جناح الحمائم في الإدارة الأمريكية؛ يقول في خطاب له: (يجب على اليابان أن تنفذ بسرعة برنامج رئيس الوزراء للإصلاح، وتحديد الديون الهائلة، وأن تبدأ بتنمية الاقتصاد المحلي، وأوروبا تحتاج إلى أجندة نمو تتضمن إصلاح سوق العمالة والتشريعات، والصين تحتاج إلى أن تنفذ بشكل كامل تعهدات السوق المفتوحة التي أعطتها لمنظمة التجارة الدولية).

وهذا الكلام يعني أن الإدارة الأمريكية عازمة على أن يكون لها رأي حاسم وأخير في إدارة كل بلد، ونلاحظ أن باول لم يكتف بذلك، بل تنطج في خطاب آخر لتلقين أصول الديمقراطية، على الطريقة الأمريكية، لكل دولة عربية أو إسلامية تريد العيش بسلام^(٢).

ونستنتج مما تقدّم أن الركائز والزوايا الأساسية للنظام الدولي الجديد بزعامة واشنطن قد اتضحت - إلى حد كبير - معالمها، ولم يبق إلا إنجاز عملية (الرتوش)، ولكن هذه العملية ظلت مرهونة بتحقيق نصر مؤزر في حرب الخليج الجديدة وتدمير العراق، مهد الحضارات القديمة، ومنها الحضارة العربية الإسلامية، والعضو المؤسس في هيئة الأمم المتحدة، والعضو العامل في جامعة الدول العربية، والبلد الزاخر بالطاقات والثروات والإمكانات والتطلّعات، إلى أن تحقق النصر الذي تريد الولايات المتحدة وتمكنت من اجتياح العراق وإسقاط النظام.

(١) صحيفة السفير (اللبنانية) في ١٣/٢/١٩٩١م.

(٢) صحيفة الحياة، في ٣٠/١/٢٠٠٣م.



المبحث الخامس العدوان على العراق ومصير الأمم المتحدة

سيبتلور النظام الدولي الجديد بشكل نهائي، بعد انتهاء الأزمة العالمية نهائياً بشأن العراق.

وقبل الحرب على العراق تمكنا من وضع عدة بدائل باعتبار النتيجة التي ستفضي إليها هذه الأزمة مما يكون له تأثير بالغ في اكتمال ملامحه ورسوخ قواعده. ويبدو أن هناك ثلاثة احتمالات لإنهاء الأزمة وبداية عهد دولي جديد:

١ - عدوان وحشي على العراق تنفذه الولايات المتحدة وأنصارها السائرون في ركابها، قبل إذاعة التقرير النهائي لهيئة التفيتش الدولي أو لدى إذاعته (سواء أكان إيجابياً أم سلبياً) دون مبالاة بما سيكون عليه موقف مجلس الأمن الدولي.

٢ - ممارسة الإدارة الأمريكية ضغوطاً على أكبر عدد ممكن من الدول لإقناعها بوجوب تجاوز الأمم المتحدة والمشاركة في الهجوم على العراق، والادعاء بعد ذلك بأن هذا التصرف لا يحتاج إلى إذن من المنظمة العالمية؛ لأنه يمثل إرادة الغالبية الساحقة من أعضائها.

٣ - إخفاق الإدارة الأمريكية في تحقيق مخطتها العدوانية بسبب تخليها عن الحل العسكري لصالح الحل السياسي أو الدبلوماسي، أو بسبب تراجعها أمام ضغط الرأي العام الأمريكي والعالمي الراض لفكرة الحرب، أو بسبب إخفاقها في احتلال العراق، وإطاحة نظامه، وتدمير سلاحه، ونشر (مبادئ الديمقراطية) في ربوعه.

وبعد أحداث ١١ سبتمبر وفي أعقاب انتهاء الحملة العدوانية على العراق؛ يحلو لنا قبل التعرف إلى مصير النظام الدولي الجديد أن نتساءل عن دور الأمم المتحدة، أو عما بقي لها من دور بعد هذا التاريخ؟

لقد قامت هيئة الأمم المتحدة - كما ورد في ديباجة ميثاقها - لإنقاذ الأجيال من ويلات الحروب، وحفظ السلم والأمن في العالم، ورفع مستوى الشعوب في كل مجال، وتأكيد الإيمان بالحقوق الأساسية للإنسان والشعوب، وتضمن ميثاقها عدة مبادئ؛ أهمها:

أ - المساواة في السيادة بين جميع الدول الأعضاء.

ب - الامتناع عن استخدام القوة أو التهديد باستخدامها.

ج - تسوية المنازعات الدولية بالوسائل السلمية.

د - عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأعضاء.



وحظيت هذه المبادئ ببعض التطبيق والاحترام خلال الفترة التي أعقبت نهاية الحرب العالمية الثانية، والتي ساد فيها معسكران تراقبهما كتلة من دول غير منحازة، وفي ظل توازن الرعب النووي والمنافسة على نهب الثروات، والسيطرة على الأسواق، واستقطاب الدول - تمكنت الأمم المتحدة من القيام بدور محمود في بعض المجالات، مثل:

- أ - مساعدة الأقاليم الخاضعة لأنظمة استعمارية على نيل استقلالها، والانضمام إلى المنظمة العالمية.
 - ب - مساعدة كثير من الدول على التخلص من الآفات الاجتماعية والاقتصادية، والحروب المحلية أو الإقليمية التي عرّضت وجودها للخطر.
 - ج - إرسال قوات لحفظ السلام في مناطق متنازع عليها أو معرضة للتفجير.
 - د - إصدار العديد من الاتفاقات والإعلانات التي ترعى حقوق الإنسان والشعوب، أو تضع حدًا لبعض المعضلات الدولية، أو تعالج همومًا ومخاطر بدأت تهدد الجنس البشري بالفناء من جراء التطور التقني (التكنولوجي) المتسارع، وانتشار أسلحة الدمار الشامل.
- وكانت القطبية الثنائية رغم السلبات عامل استقرار نسبي خلال عقود تقريباً، ولكن الميزان أو التوازن اختل عندما أصبحت الولايات المتحدة القطب الأوحيد في العالم، وعندما بدأت تستلهم ماضيها الحافل بالإبادة (إبادة السكان الأصليين للعالم الجديد)، والاسترقاق (خطف الإفريقيين من أوطانهم واستعبادهم)، والتوسع الاستعماري (ضم تكساس، وألاسكا، ومناطق من كندا، وجزر البحر الكاريبي)، وعندما عازمت على تحقيق أحلامها وأطماعها بكل الوسائل غير المشروعة، وفي طليعتها الرشوة والتهديد والبطش، والاستناد إلى أساطير وخزعبلات من أمثال:
- أ - حقها في تزعم محور الخير في العالم لمواجهة محور الشر.
 - ب - حقها في اتهام الشرفاء والأبرياء بارتكاب أعمال إرهابية.
 - ج - حقها في اختيار الأنظمة السياسية والاقتصادية للدول.
 - د - حقها في فرض مفهومها للديمقراطية وحقوق الإنسان على الآخرين.
 - هـ - حقها في تهديد كل متمرّد على إرادتها بحساب عسير وقريب.
 - و - حقها في تحويل الأمم المتحدة، وبقية المنظمات الدولية إلى أدوات ومطايا لتنفيذ رغباتها.
 - ز - حقها في تزوير التاريخ، والتلاعب بالحقائق، وقلب المقاييس والمفاهيم، واعتبار المجرمين والجزّارين رجال أمن وسلام.



وإذا أردنا الاختصار نقول: إن الولايات المتحدة هي التي دمّرت الأمم المتحدة، وأساءت إلى سمعتها ومكانتها عندما تنكرت لكل المبادئ التي قامت عليها هذه المنظمة.

ومن مظاهر هذا التنكر المغلف بالاستهتار:

- ١ - الإقدام على استعمال القوة العسكرية في البلقان، والعدوان على أفغانستان؛ دون الحصول على قرار من مجلس الأمن الدولي.
 - ٢ - الإصرار على شن عدوان على العراق، واتهامه بحيازة أسلحة الدمار الشامل، على الرغم من إرسال مفتشين دوليين إليه.
 - ٣ - التدخل في شؤون كل دولة، والتلويح بالتهديد والعقوبات لكل دولة، لا فرق في ذلك بين حليف مُحلّف ومعارض متمرد.
 - ٤ - زرع الفتن وبث الأحقاد بين الجيران والأشقاء، والتحريض الخفي على التناحر والقتال وتدمير الأنفس؛ بغرض بيع الأسلحة الأمريكية الكاسدة والمكدّسة لأطراف النزاع.
 - ٥ - عمليات الدّهْم والتفتيش والتحقيق والملاحقة والاستفزاز ضد العرب والمسلمين - المتجنسين أو المقيمين أو الزائرين أو الطلاب - في الولايات المتحدة، أو في الدول التي ما زالت تتلقى التوجيهات منها.
 - ٦ - الانتهاكات الصارخة لحقوق الإنسان والجماعات، وجرائم الإبادة الجماعية والتطهير العرقي، والاختفاء القسري، وتعذيب المعتقلين في سجن (جوانتانامو) والسجون الأمريكية، والتنصل دون مسوغ من قواعد الحق والإنصاف، وشروط المحاكمة العادلة.
 - ٧ - الكيل بمكيالين إزاء العراق الخالي من أسلحة الدمار الشامل، وكوريا الشمالية التي تفاخر بامتلاكها هذا السلاح، وإزاء الصهيونيين الذين يرتكبون كل يوم جرائم إبادة وحرب وعدوان وجرائم ضد الإنسانية، والفلسطينيين الذين يطالبون بحقوقهم في استعادة أرضهم وتقرير مصيرهم.
 - ٨ - تعمّد الخلط والتمويه بين المقاومة التي تعتبرها الأمم المتحدة حقاً مقدّساً ومشروعاً لكل شعب محتل أو مضطهد، وبين الإرهاب المُدان عالمياً؛ في الوقت الذي تمارسه الإدارة الأمريكية وأنصارها ضد حريات الشعوب ومصائرها؛ بغرض ابتزازها والاستيلاء على ثرواتها.
- ومن المؤسف أنه في عهد الرئيس بوش الصغير الذي فاز على منافسه بنتيجة مشبوهة؛ لم يعد من الممكن التمييز بين الأمم المتحدة والولايات المتحدة. لقد أصبحا اسمين متشابهين لمستنسخين من جينة واحدة، اجتماعهما لا يُثير الدهشة، وفراقهما لا يسترعي الانتباه، فما تقرّره الولايات المتحدة تنفذه الأمم المتحدة بخشوع. وليس في مقدور الأمم المتحدة أن تقرر أمراً بخلاف ما تريده الولايات المتحدة، أو أن تنفّذ أمراً طلبته



الولايات المتحدة ثم تخلت عنه أو انقلبت عليه؛ إرضاء لحبيب أو خدمة لحليف أو تحقيقاً لمأرب، والمثل على ذلك إكراه مجلس الأمن على التنكُّر لقراره بإرسال فريق لتقصي الحقائق في مجزرة جنين بعد أن أعدت الإدارة الأمريكية مشروع القرار، وبذلت الجهود لإقناع أعضاء المجلس بالتصويت لصالحه.

إن الإدارة الأمريكية بزعامة الرئيس بوش باتت تشكل عبئاً ثقيلاً على عالم اليوم، وخطراً داهماً يندر بشراً مستطير، ومن واجب الشعوب الراغبة في العيش في ظل الأمن والسلام والتسامح؛ الإسراع في استخدام كل الوسائل الممكنة والناجعة لاحتواء هذا الخطر قبل استفحاله^(١).

ومن الملاحظ اليوم أن هناك -بالإضافة إلى الإدانة الشعبية العالمية للحرب على العراق- تحركاً أوروبياً يتجاوز مرحلة الاعتراض على التصرفات الأمريكية الرعناء، إلى مرحلة الوقوف في وجه المخططات الحربية التي تُعدّها الإدارة الأمريكية، والتي قد تفضي إلى كارثة عالمية.

صحيح أن ثمة دولاً أوروبية -في طليعتها بريطانيا- تؤيد تلك الإدارة وتسير وراءها دون تفكير أو تروء، إلا أن التقارب بين الدولتين الكبيرتين في الاتحاد الأوروبي (ألمانيا وفرنسا) قد أسفر عن تفاهم أو اتفاق واضح يهدف إلى رفض الهيمنة الأمريكية، والامتناع عن الدخول في حرب غير مسوَّعة لا تخدم في النهاية إلا المصالح الأمريكية الذاتية.

ومن مظاهر التقارب بين الدولتين أن الزعيمين فيهما (شرودر وشيراك) تعهدّا خلال الاحتفالات التي أقيمت بمناسبة مرور أربعين عاماً على معاهدة الصداقة بين بلديهما باتباع سياسة موحّدة على الصعيد الدولي، والتزام موقف متجانس في المحافل الدولية، وفرنسا عضو دائم في مجلس الأمن الدولي، وتتمتع بحق النقض الكفيل بتعطيل أي مشروع قرار، وألمانيا العضو غير الدائم في المجلس وقد تولت في فبراير رئاسته الدورية (الشهرية)، وهناك -إلى جانب الدولتين في المجلس- دولة عربية (سوريا)، ودول أخرى معتدلة وراغبة في السلام، وقد يكون لهذا الوضع أثر وأهمية في اتخاذ القرارات المهمة.

ومن مظاهر التقارب أيضاً أن ألمانيا وفرنسا، وهما عضوان في حلف الأطلسي، سعتا منذ مدة بتأييد ضمنني من بعض الأعضاء في الحلف لعرقلة المحاولات التي تبذلها الإدارة الأمريكية لربط هذا الحلف بالآلة العسكرية الأمريكية وجرّه -كما حدث في معارك البلقان- إلى الانغماس في الحرب ضد العراق.

وفي ظل هذا الجو الملبد بالغيوم الداكنة، كيف يمكننا تصوّر المستقبل العربي والإسلامي؟

(١) راجع مقالنا: الولايات المتحدة دمّرت الأمم المتحدة، في صحيفة النهار (اللبنانية) في ١٣/١/٢٠٠٣م.



المبحث السادس المستقبل العربي والإسلامي في ظل النظام الدولي الجديد

إن استقرار المستقبل لم يعد عملاً تنجيمياً، بل أصبح فناً أو علماً يستند إلى بعض الحقائق والمؤشرات، ويخضع لبعض القواعد والأصول، وأوضاع الحاضر قد تنبئ بما ستكون عليه أوضاع المستقبل، وفي تاريخ الأوطان مراحل ومحطات وأحداث تشكل منعطفات وتحولات مصيرية.

وفي رأينا أن إغفال النتائج والآثار المترتبة على الحرب ضد العراق؛ يعدُّ - إذا أردنا البحث في مستقبل العالمين العربي والإسلامي - خطأً كبيراً، فهذه الحرب - مهما تكن النتائج - لها بصماتها الشديدة على مسيرة التطور في المنطقة العربية والإسلامية، وكما كان يقال في الماضي: (عام الفيل، و عام الحج)، سيقال في المستقبل: (عام حرب العراق)، وهذه الحرب أدت إلى فتح عدة ملفات في ضمائر العرب والمسلمين؛ أهمها خمسة:

- ١ - ملف الوحدة العربية والتماسك الإسلامي: فلو كان هناك وحدة أو اتحاد بين الأقطار العربية، أو بين معظمها، وتعاون وثيق بين الأقطار الإسلامية:
 - لما تعرض الكويت للاجتياح في عام ١٩٩٠ م.
 - ولما تعرض العراق للتدمير، ويتعرض اليوم للتهديد بالإفناء.
 - ولما عانى لبنان المعارك الداخلية الدامية في الأعوام من ١٩٧٥ - ١٩٩٠ م.
 - ولما استمرت حرب الانفصال في جنوب السودان، والحرب الأهلية في الصومال حتى الآن.
 - ولما توترت العلاقات بين دول المغرب العربي بسبب الصحراء الغربية.
 - ولما اضطررنا إلى استدعاء الجيوش والأساطيل الأجنبية إلى ديارنا المقدسة.
 - ولما تمكّن العدو الصهيوني من الاستمرار في البقاء في قلب أمتنا، وقمع الشعب الفلسطيني المناضل بالحديد والنار.
 - ولما استطاعت الدول الاستعمارية الاستيلاء على خيراتنا، وتشويه تاريخنا، وتحقير قيمنا، والاستخفاف بوجودنا وقدراتنا.
- ٢ - ملف الأنظمة السياسية الحاكمة: فهذه الأنظمة في معظمها لم تعد - بشكل عام - صالحة لمواكبة التطورات والمستجدات في العالم، وتحقيق الإنجازات والإصلاحات الملحة.



٣ - ملف الثروة الفلكية، العربية والإسلامية: فلا يجوز بعد اليوم أن تبقى هذه الثروة ملكاً خاصاً لبعض الأقطار الغنية، إنها ثروة للأمم يجب أن يستفيد منها الجميع لتنمية مواردهم، وتعزيز قدراتهم وتطوير بلادهم. وتوزيعها يجب أن يتم بشكل عادل، وأن لا يُهدر في حياة جيل واحد، وكيفينا التذكير بما ورد في تقرير للأمم المتحدة، لقد جاء فيه: (إن عدد السكان العرب سيصبح بعد أعوام نحو ٣٠٠ مليون نسمة، ولكن دخلهم القومي - إذا استمرت سياسات التنمية على ما هي عليه - لا يكفي لإعالة أكثر من مائة مليون نسمة)^(١).

٤ - ملف العلم: فالتطوير أو التغيير أو التقدم لا يتحقق إلا بالعلم، ولم تزد أمة إلا بالعلم، لقد انتصرنا على الغرب في الماضي بالعلم المقرون بالإيمان، فعاد وانتصر علينا في حروبه الصليبية بالعلم الخالي من الإيمان، غير أننا دحرناه بالعلم والإيمان مجدداً أيام العثمانيين، ولكنه عاد فتقدم علينا بالعلم وسيطر علينا مرة أخرى، والمعارك بيننا ستبقى سجالات تحت راية العلم.

٥ - ملف العلاقات بالولايات المتحدة: فالمستقبل العربي والإسلامي مرهون بكيفية التعامل مع هذه الدولة التي نصبت نفسها وصياً على العالم، والتي لا تجد وحدتها وتماسكها إلا في مواجهة خطر أو عدو معين، ولو كان وهمياً، ففي الحرب العالمية الثانية عاشت على ذكرى الخطر النازي، وبعد الحرب لوحث بالخطر الشيوعي، وانتقلت بجيوشها إلى كوريا، وفيتنام، والفلبين، وأفغانستان، وكوريا، ونيكاراجوا المحاربة الشيوعية، ولكن النازية زالت، والشيوعية تقوَّعت، والاتحاد السوفيتي انهار؛ فأين هو العدو؟

لقد وجدته الإدارة الأمريكية في العرب والمسلمين، ولعلها هذه المرة لم تختر عدواً وهمياً أو رمزياً، فالعرب والمسلمون قادرون حقاً على تشكيل خطر عليها إذا ما تحدوا ووجدوا طاقاتهم الإبداعية، ووظفوا ثروتهم لخدمة مصالحهم.

والخلاصة: إن مستقبلنا في ظل السيطرة الأمريكية على العالم سيكون - إن لم ننتفض - أسوأ من ماضي الهنود الحمر في أمريكا والسود في جنوب إفريقيا، وتصريحات المسؤولين الغربيين، وخطط بوش تنبئ بما يبئ لنا، وقد شعر وزير الخارجية السوري بذلك منذ عام ١٩٩١م عندما صرح بأن الدوائر الغربية والصهيونية (لا تكتفي بهزيمة العراق، وإنما تهدف إلى تحويل الحرب إلى هزيمة شاملة لكل العرب).

نحن نعيش في عصر التكتلات العملاقة، ولا مكان بعد اليوم للدول الصغيرة، والسلام أصبح يخضع لمعيار القوة، والاستمرار في الوجود يحتم علينا تفجير ثورة عارمة في تفكيرنا وسلوكنا وكياناتنا السياسية، وتجنيد كل الطاقات لامتلاك وسائل القوة، فالولايات المتحدة لم تكن قطباً منذ قرن، والشمس غابت عن أملاك الإمبراطورية البريطانية، وروما زالت من عالم الوجود، وتركيا لن تستعيد إمبراطوريتها، وإسرائيل كانت مجموعة عصابات إرهابية، وتلك الأيام ندائها بين الناس، والانتفاضة المباركة في فلسطين أثبتت أن العربي

(٦) صحيفة السفير، في ٢٠/١/١٩٩٠م.



قادر على الإبداع والتمرد، وأن وحوش العالم لا تُرهبه، وأن إسرائيل لم تعد كابوساً. نحن لا نؤمن بالاحتميات التي لا فكاك منها، ولا بالظروف الموضوعية التي لا جدال فيها، ولا بالأساطير والخرافات التي تجعل من راعي البقر بطلاً على مدى الحياة، ومن رئيس للاستخبارات والتجسس والتخريب مسيحاً منتظراً، بل نحن نؤمن بأن المستقبل بيد الله، وأن مستقبل الأمة يتوقف على إرادة أبنائها، وأن في مقدور الشعب المؤمن أن يغيّر المعادلات، ويواجه التحديات، ويتجاوز الصعوبات.